الشـــعر

الشعر أثر كبير فى تاريخ الحياة الانسانية ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ما أفادها بنغماته السحرية الجميلة ، وموسيقاه الناطقة المؤثرة ، واذا كان العلم يعطينا مددا نافعا ، وفوائد جليلة ، فان الشعر يمنحنا هبة أعظم شرفا ، وذلك لأنه يفتح على أرواحنا النوافذ المغلقة فيصلها بالحياة التى تجرى امامها ، والنور الذى ينتشر حولها ، ثم هو يعرض أمام أنظارنا الجمال الهاجع فى الكون مجلوا فى أبهى حلله ، ذلك الجمال الذى هو زهرة الحياة الدنيا وفتنتها فما هو هذا الشعر الذى يقدم لنا كل هذه الهبات ؟

أما أساتذة مدارسه التى أخذت تباهه فى الشرق فقد اهتدوا منذ القرون الأولى للهجرة الى تعريفه بأنه « الكلام الموزون المقفى » ولا شك أن هذا تعريف قاصر لأنهم تناولوا به السور الخارجى الذى يحيط بمدينة الشعر فقط ، أما المدينة نفسها وما تضج به من حياة وحركة ، وما تموج به من حسن وجمال ، فلم تسترع أنظارهم ، ولم تجذب انتباههم ، ولعل رواية الشعر الجاهلى هى التى ورطتهم فى هذا التعريف الأبتر ، فقد كان الشعر الجاهلى يروى سواء أكان بسيطا ام لم يكن ، وسواء أكان مؤثرا أم لم يكن ، وسواء أكان مفهوما أم غير مفهوم ، وكان الرواة لا يطلبون فى الشعر الا أن يطن بالوزن والقافية ، وأما المعنى الذى هو روح الشعر فلم يلق منهم عناية ولا دراية الا فى الاقل القليل ، فلما أخذت المدارس تعلم الشعر وتقننه فهمت أن الوزن والقافية هما كل شىء فيه ، واستن لها السنة الخليل بن احمد استاذ المدرسة الأولى فقد قال : والشعر هو ما وافق أوزان العرب ، فما دام الكلام قد ارتدى برداء الوزن فهو شعر ولو لم يكن فيه روح تنبض ، ولا حياة تخفق ، والذى يدعو الى الدهش هو أن هذه الفكرة السقيمة فى الشعر استمرت قائمة فى هذه المدارس طوال العصور المختلفة كأنها قضية منطقية مسلم بها ، ولم يفكر الادباء فى الخروج عليها . نعم أتيح للجاحظ أن يتأثر بالمدرسة اليونانية فيقول : (إنما الشعر صياغة وضرب من التصوير) ولكن للأسف لم يعن هو نفسه بهذا المعنى فيما جمع من الشعر بكتابه البيان والتبيين ، وعلى الرغم من أن ابن خلدون انتقد المدارس السابقة فى تعريفها للشعر ، استمرت عند فكرتها ، ولم تحاول أن تعتق نفسها من رق هذا الخطأ ، ولا أن تطلق عقولها من أغلال هذا التقصير

والأمر فى تعريف الغربيين للشعر على خلاف هذا ، ولنلم بطرف من تعاريفهم ، ولعله يلقى على الموضوع أشعة توضحه ، يقول مستر بلوك : إنه لا يمكن تعريف الشعر بشىء سوى السحر ، وكان أجدر به أن يعدل فى كلامه فيقول إنه لا يمكن تشبيه الشعر بشىء سوى السحر ، ومهما يكن فتعريفه لا يعطينا شيئا أكثر من فكرة أولية لا تقبل التحليل ، وقال مستر تيفر : إن كلمة الشعر ككلمة الجمال من الكلمات المبهمة التى تشمل مجموعة من الاشياء المختلفة تمام الاختلاف بالنسبة لاختلاف المتجين ، وانتهى الى أنه يمكن تعريف الشعر بأكثر من هذا التعريف الردىء لمعاجم اللغة ، واعترف مستر لمبورن بأنه لا يمكن تعريف الشعر الا اذا عرفنا الحياة والحب ، اللذين يترجم عنهما

وهكذا نجد النقاد من الانجليز مضطربين امام تعريف كلمة الشعر ، فبعضهم يعرفها تعريفا ناقصا ، وبعضهم يعرفها تعريفا مبهما ، ويحجم كثير عن تعريفها لأنه لا يمكن تعريفها ، أو لأنها ككلمة الجمال لا يمكن تحديدها ، وبمعنى أوضح لأن الشعر عمل فنى ، وكأنما كتب على كل عمل فنى ألا تحيط به التعاريف إحاطة تامة ، وأيا كان فكلمة الشعر تعنى شيئا موجودا أمامنا ، يشرح خواطرنا ، ويخاطب قلوبنا ، ويؤثر فى نفوسنا تأثيرا جميلا ، وإذا كنا لا نستطيع أن نحدد الشعر تحديدا تاما يبين ماهيته فليس من العسير أن نقف على اساسه ، ولعل أقدم من تكلم فى هذا الموضوع

وهو يوجه القول الى فتاته :

— ماذا تصنعين هنا ؟

— الحب حر ! أليس هذا من مبادئك ؟

ولم يكن من الاستاذ ازاء هذا الجواب المفحم الا ان تسللت يده فى حركة خفية فاخرجت مسدسه من جيبه . وكانت طلقتان أصابت احداهما الطالب المسكين فصرعته ، واصابت الأخرى عروسه فطرحتها الى جانبه !

وكانت هذه الخاتمة المروعة هى التطبيق العملى البديع لنظريات الاستاذ الخلابة فى (حرية الحب) وفى مقدرة (ذيل أرمن) على نشر النسيان بين الناس ، وفى بيان ما أصاب عاطفة الغيرة من الهزائم على يد هذه المذاهب الحديثة !

حسن جلال

كلاما مستفيضا هو أرسطو فقد قال : إن الابتكار أساس الشعر ، فالشعر عنده صورة مخترعة يخلقها الشاعر بقوة خياله ، والوزن عنده شيء إضافي يلحق بالصورة حين يتم خلقها في قلب الشاعر ، وماذا ؟ أيخترع الشعراء الأوزان التي ينظمون عليها كلامهم ؟ ! وهل يخلق الشعراء الالفاظ التي يوقعون عليها نغمات عواطفهم ؟ ! إن الوزن واللفظ ملك للغة ، ليس لأحد أن يدعي شيئا منهما لنفسه وإنما الذي يستطيع الشاعر أن يعزوه إلى نفسه فيصدق هو الصورة الطريفة التي يبتدعها ، وهذه النظرية جميلة في ظاهرها ، ولكنها ليست دقيقة كل الدقة ، وعلى الرغم مما يظهر فيها من المغالاة في تقدير الشعر استمرت محتلة أفكار النقاد مددا طويلة ، حتى جاء المؤرخ اليوناني « ديونيسيوس » صاحب الأبحاث البلاغية الشهيرة ، فعلق على الأوديسا تعليقا انتهى فيه إلى أن أساس الشعر انما هو الأسلوب ، وقد تبعه كثير من النقاد في أوائل العصر الحديث ، كل منهم يخطيء نظرية أرسطو ، ويبرهن على أن الأسلوب والوزن لهما أثر كبير في صناعة الشعر والواقع ان الشعر عمل فني يقوم على أشياء لا على شيء واحد ، فلا بد له من الصورة الفنية ، والموسيقى الجميلة ، والخيال البارع حتى يستطيع أن ينهض من الارض فيحلق فوق رءوسنا في السماء

وقيمة الشعر ترجع إلى أنه يترجم عن إحساسات الانسان محاولا أن يوقظ العواطف المقابلة في قلوب الآخرين ، وما دامت هذه هي قيمته ، فكل منا شاعر إلى حد ما ، لأن كلا منا يملك إحساسا ، وقوة بها يترجم للآخرين عما يجيش بصدره ، ولكن يجب أن نعرف أن هؤلاء الذين نسميهم شعراء هم في الواقع أرق من الشخص العادي شعورا وألطف منه وجدانا ، وهم أقدر على التعبير عما يحسون ويتأثرون ، قد انقادت إليهم أعنة الكلام واستسلمت لهم شوارد الأوزان ، فسهل عليهم تصوير ما في قلوبهم وإخراج ما تطفح به صدورهم ، والذين يعنون بدراسة الشعر ونقده يجدون مواطن كثيرة لا يجذب جمالها قلوبهم ، ولا يسترعي حسنها عقولهم ، يلفتهم الشاعر إليها بصوره الساحرة التي يعرضها وموسيقاه الجميلة التي يغني بها ، ولقد أحسن كيتس حين قال : « ربما جعل الله لك يا بني هذا العالم جميلا في نظرك كما هو جميل في نظري » وحقا أن الشاعر يتراءى له العالم جميلا أو قبيحا أكثر مما يتراءى لنا ، وكثيرا ما يجعل الأشياء التي تبدو لنا قليلة القيمة أنيقة معجبة بما يصور من جلالها وما يظهر من جمالها

وأول محاولة في الشعر هي ترجمة العاطفة الثائرة في قلب الشاعر ، فقياس الشعر ليس هو المنطق ، وانما هو العاطفة ، ونحن لا نسمع لشعر الشاعر ، ولا لغنائه لأنه أكثر عقلا من غيره ، بل لأنه يجعلنا نشعر بحياة قلوبنا وأحاديث وجداننا ، والتعبير العاطفي هو الشعر ولكن إذا حمل لباسا جميلا ، وشكلا أخاذا وموسيقى بارعة ، فأذا لم يحمل ذلك لم يكن شعرا بالمعنى المعروف ، لأن الشعر لا يتطلب حياة عاطفية فقط ، بل هو يتطلب إلى ذلك الأسلوب الجميل والموسيقى المؤثرة ، ويجب أن تكون الموسيقى قوية ، وطيعية ، وحرة ، لتستطيع عواطف الشاعر وأفكاره أن تبقى خالدة على وجه الدهر ، أما أذا كانت الموسيقى ضعيفة واهنة ، أو نافرة جامحة ، أو أسيرة سجينة ، فأنها تفسد على الشاعر شعره ، والموسيقى الشعرية لا تستطيع أن تحيا بدون التعبير العاطفي لحظة من الزمن ، بخلاف التعبير العاطفي فأنه يستطيع أن يحيا ، بدون الموسيقى فيكون نثرا أدبيا ، وبقوة تعبيره وجمال تصويره تكون قيمته في هذه الحياة الفنية التي وقف عندها

ويجب أن تكون لغة الشعر سلسة عذبة ، جميلة في مرأى العين وسمع الأذن ، لا يعوزها الحسن ولا ينقصها الرواء ، كما يجب أن يكون الأسلوب متماسكا مترابطا ليعبر تعبيرا واضحا مسرعا عن غايته ، وحسن البيان ضروري في الشعر حتى لا يقعد به سوء التعبير عما يريد الافصاح عنه ، والواجب أن يهتم الشاعر بهذه الأشياء جميعها لأنها اللباس ، وكثيرا ما يدل اللباس على صفات لابسه .

وكل العواطف صالحة لأن تكون موضوعا للشعر يترجم عن مستورها ويفصح عن خبيئها ، ولكن ليست العواطف كلها في مرتبة واحدة غير متفاوتة ، بل منها القوي ومنها الضعيف ، فاذا أفصح الشاعر عن عاطفة قوية كان شعره ساميا جميلا ، أما اذا ترجم عن عاطفة ضعيفة فأن شعره يتدلى معها الى أسفل فتنقص من حسنه وتغض من روعته ، ويجب أن يكون القلب الذي يعبر عن هذه العواطف سليما غير مريض ، فأن القلب هو الذي يمثل مرض الانسان ، أما القلب المريض فلا يجد من يحمله ، وما أشبه العواطف بجداول مياه تنساب من القلب فيميلها كيف يشاء

وخير العواطف ما كان يبعث على الحياة والقوة كعاطفة الاعجاب التي تملأ قلب الشاعر فتجعله يصف الأسد مثلا ، وسمو هذه العاطفة راجع الى أن القوة مظهر الحياة ، وهي تعجب الانسان أكثر من أي مظهر آخر ، فالانسان دائما يعتز بقوته ويخفي سوأة

الضعف التي قد تتراءى له في زوايا نفسه ، يتجاهلها ، ويتعامى عنها ، ويبعدها عن نفسه كلما ألمت به ، ولهذا كانت العواطف التي تبعث على الحزن ضعيفة ، لأن الألم والبكاء تنفر منهما النفس وتفر بطبيعتها إذ الانسان لا يرضى أن يعترف بضعفه ، واذا اعترف لم يبق على هذا الاعتراف طويلا ، ومن العواطف الضعيفة عاطفة المدح فأنها عاطفة شخصية تتصل بنفس الشاعر وذاته ، ولا تعبر عن شيء عام يشترك فيه الجميع . نعم إن تخلصت من ذاتيتها ، فدحت المروءة أو حضت على خلق كريم تغير حالها ، وعلت مرتبتها ، لأنها حينئذ تفصح عن شيء يشترك فيه الجميع ويقدره

والعاطفة ، ليست وحدها كل شيء في الشعر بل يجب أن تضاف اليها الفكرة التي تنظمها وتهيئها للحياة والظهور ، وكل الفنون ماعدا الموسيقى لابد فيها من الفكرة حتى تتلذذ العاطفة ، وليس من الواجب أن نخترع الفكرة ، وأنما الواجب أن تظهر في معرض جديد يوضح عمل صاحبها وقوة ايمانه بها ، والشعر قد يكون فكرا خالصا فيبحث في أعمق المسائل التي تشغل عقول الفلاسفة من مثل طبيعة الخير والشر ، وحينئذ لا يكون شعرا بالمعنى الصحيح الا اذا امتزج بالقلب فأصبح عاطفة قوية تفيض منه لا من العقل ، تخاطب الشعور والوجدان قبل أن تخاطب الأفكار والأذهان ، ولقد أحسن قدماؤنا حين قالوا (الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان)

والشعر في الواقع رسالة كرسالة الأنبياء ، فهو يقوم على الالهام أكثر من أي شيء آخر ، والايمان بالفكرة ووضوحها هما الملكان اللذان يوحيان إلى الشاعر بالمعاني الجميلة المعجبة ، والصور الفريدة المعجزة ، فيخرج للناس أفكاره نيرة واضحة ، كأنها وهج الحريق في الليل البهيم ، فلا تجد تكلفا ولا تعملا ، وإنما هي زهور جميلة ينثرها الشاعر على رغمه كما ينثر الزيتون زهوره ، وما أشبه الفكرة القلقة يقولها الشاعر بالعصفور المضطرب الحيران التائه من عشه ، ويجب أن تكون الفكرة قوية ، ليكون الشاعر مبدعا ، رائعا ، حتى إذا أراد أن يحلق في السماء انتهى الى أعلاها فكان نجما زاهرا بين نجومها ، وللأسف نجد الشعر العربي تعوزه القوة في كثير من الأحيان ، ولعل هذا هو السر في أن الشاعر العربي إذا أراد أن يحلق فوقنا ارتفع ارتفاع السحاب في السماء الدنيا ولم

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٣ ـ البرنامج الداخلي في طور التنفيذ

للأستاذ محمد عبد الله عنان

رأينا كيف نشأت الوطنية الاشتراكية الالمانية واستمدت قوتها من عوامل اليأس والفوضى التي غمرت الشعب الالماني عقب الحرب ، ومن مختلف المصائب والمتاعب التي توالت عليه من جراء شروط الصلح وأعبائه ، ومن تفاقم الخطر الشيوعي ، وفشل الديموقراطية والنظم البرلمانية في معالجة الحالة وتسيير الشؤون ، من تفاقم العطلة والأزمة الاقتصادية ؛ هذا من الناحية السلبية ، واما من الناحية الايجابية فان وعود الوطنية الاشتراكية في العمل على تحقيق وحدة المانيا وسلامها ورخائها ؛ ومكافحة الخطر الشيوعي وحل مشكلة العطلة ، وانهاض الزراعة والصناعة والتجارة ومعالجة الأزمة الاقتصادية بوجه عام ؛ ثم في تحرير المانيا من عسف الظافر ومن أعباء معاهدة الصلح ؛ كانت كلها تبث الامل والانتعاش في الجموع وفي الشباب بنوع خاص ، وتحشد حول علم الوطنية الاشتراكية ملايين الانصار

والآن لنر كيف عملت الوطنية الاشتراكية لتنفيذ برنامجها

يستطع الارتفاع إلى أعلى أكثر من ذلك ، لأن أجنحته ليست قوية ، على أنه سرعان ما يدنو الينا وينزل من سمائه إلى أرضنا

والعواطف والأفكار لا تكون وحدة الشعر بنفسها ، وإنما الذي يصنع ذلك هو الخيال الشعري ، فهو المنظم للأفكار والعواطف وهو المخرج لها ، هو الذي يجمعها وينفخها بروح من لدنه فتستوي ناطقة معبرة نشخص لها ونعجب بجمالها ، وإذا تجردت قطعة شعرية منه فلا تسمى أدبا ، فاذا شاهد شخص حديقة جميلة في مكان وجاء يقول : لقد رأيت حديقة بها أزهار واشجار وما الى هنالك لم يكن هذا شعرا ، وإنما الشعر حقا هو الذي يحمل للناس أبهة الخيال فيظهر للناس في وحدة جميلة بديعة تسترعي الأنظار ، وتخلب الألباب ، وأي خيال أجمل من قول كيتس « يوجد الغد مبرعما في نصف الليل » ؟

شوقي ضيف
بكلية الآداب